"اتفاق مكة وحكومة الوحدة الوطنية"

التقرير الثالث
المرحلة الثانية
وحدة الرصد الإعلامي

تشرين أول
2007

بالتعاون مع

الاتحاد الأوروبي
و
مؤسسة فورد

فريق عمل وحدة الرصد الإعلامي:

منسق المشروع: رُهام نمري

المحلل الإعلامي: محمد عبد ربه

منسقة المعلومات: آلآء كراجة

وحدة المراقبة: بلال لدادوة ، روان حمد، مي مصطفى، سائد كرزون.

اللجنة التوجيهية لهذا التقرير:

د. حنان عشراوي، د. ليلي فيضي، خليل شاهين، موسى قوس، عطا القيمري، عماد الأصفر، بيسان أبو رقطي، جمان قنيص، ناهد أبو طعيمة، جوهره بكر.

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لـــ "المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية- مفتاح".

ص.ب 69647 القدس 95908

هاتف القدس 5851842 2 972 – هاتف رام الله 2989490 2 972

فاكس القدس 5835184 2 972 – فاكس رام الله 2989492 2 972

بريد إلكتروني info@miftah.org

صفحة إلكترونية www.miftah.org

المقدمة

في تقريرنا الأول حول "حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية وآفاق السلام" رصدنا مرحلة مهمة كان فيها الاقتتال الداخلي بين الفصيلين الرئيسيين "فتح" و"حماس" بلغ ذروته، وبسببه سقط كثير من الضحايا من الجانبين ومن المدنيين أيضاً.

وشمل الرصد في التقرير الأول الفترة الممتدة من (1-9-2006 وحتى30-12-2006)، قام خلالها العاملون في وحدة الرصد بمراجعة وتحليل ما نُشر في الصحف اليومية الثلاث الرئيسية: "القدس"، "الأيام"، و"الحياة الجديدة"، وما بُث في "تلفزيون فلسطين" على مدى تلك الشهور الثلاث.

في هذا التقرير الذي يحمل عنوان "اتفاق مكة وحكومة الوحدة الوطنية" نرصد فترة تتصل إحداثياتها وتطوراتها سياسياً ووطنياً مع الربع الأخير من العام المنصرم، فترة كانت من الخطورة بمكان حيث تواصل فيها الاقتتال واستمر سقوط الضحايا وبلغت مداها الدموي في الأسبوعين الأولين من العام الجاري، أعقبها تطورات سياسية على صعيد وقف هذا الاقتتال وإنهائه وصولاً إلى اتفاقٍ عُرف لاحقاً ب"اتفاق مكة" أفضى في النهاية إلى نشوء حكومة وحدة وطنية.

لهذا، فالتقرير الذي بين أيدينا يغطي زمنياً الفترة الواقعة ما بين (1-1-2007 حتى31-3-2007).

و يتناولها بالرصد والمتابعة والتحليل، الكيفية التي غطت بها الصحف اليومية الثلاث: "القدس"، "الأيام"، و"الحياة الجديدة"، إضافة إلى "تلفزيون فلسطين" أحداث تلك الفترة، وما سُجل من مواقف إسرائيلية وأمريكية ودولية حيال الاتفاق، وحيال حكومة الوحدة، وكان لنا اهتمام خاص بهذه المواقف بالنظر إلى أن تشكيل حكومة جديدة كان حاجة وطنية فلسطينية عدا عن أنه كان مطلباً دولياً أُثقِل بشروط سياسية وكان تلبية هذه الشروط لازماً حتى يُرفع الحصار السياسي والمالي عن الشعب الفلسطيني.

و لم تكن عملية الرصد سهلة بالنظر إلى كثافة الحدث وحدته وتشعباته ميدانياً على المستوى الداخلي الفلسطيني، وخارجياً على مستوى المواقف المعلنة لدول العالم المختلفة.

الاقتتال الداخلي:

حين باشرت وحدة الرصد عملها مطلع العام الجاري شهد الأسبوع الأول منه انعطافاً حاداً في الصراع الدموي بين "فتح و"حماس"، ولم تكن وسائل الإعلام المحلية المقروءة أو المرئية أو المسموعة بمنأى عنه وعن تأثيراته، ما ساهم في تصعيد حدة الخطاب الإعلامي والسياسي وانعكس هذا ميدانياً على مزيدٍ من أعمال الثأر والقتل والاستهداف، وكلا الطرفين المتقاتلين استخدم جميع ما يملك من أدوات ووسائل في صراعه ضد الآخر، بدءاً من وسائل الإعلام بتصنيفاتها المذكورة آنفاً، مروراً بالناطقين الإعلاميين، وانتهاءً بالسياسيين ومن أعلى المستويات.

كان هذا التصعيد الإعلامي والسياسي امتداداً للفترة التي سبقت وتميزت بتصعيد ميداني وأمكن ملاحظة كيف أن الصحف الثلاث أعطت مساحة في التغطية الواسعة لأحداث تلك الفترة، والتزمت في عناوين أخبارها وتقاريرها سياسة تكاد تكون واحدة في نقلها المجرد لما كان يجري على أرض الواقع، دون الغوص في حقيقة تلك الأحداث، وظلت أخبارها وتقاريرها تدور في فلك هذا النقل المجرد، فتعاملت مع الضحايا كأرقام، وغاب عن تقاريرها التحليل وتقديم المعلومات التي كان يحتاجها المواطن، بل غاب عن تغطية تلك الصحف الجوانب الإنسانية والتأثيرات الخطيرة للاقتتال في تلك الفترة على حياة الأفراد والمجموعات، بل على الصعيد الوطني العام.

وفي معظم الأحيان كانت تلك الصحف تبرز أعداد الضحايا مع اهتمام خاص بالإشارة إلى الهوية التنظيمية والسياسية لطرف دون آخر، كما كانت تظهر الهوية التنظيمية والسياسية لجهة تورطت في اعتداءات وأعمال قتل وتتجاهل هوية الجهة الأخرى التي كانت تقترف نفس الأعمال، وكانت تكتفي لهذه الجهة بإشارة "مجهولون".

و نورد فيما يلي نموذج لما كانت تنشره الصحف في تلك الفترة:

"الأيام": 4-1-2007 ص1

"**بينهم ثلاثة من عناصر الوقائي ورابع من نشطاء "فتح"** (عنوان فرعي)

مقتل خمسة مواطنين مع تجدد المصادمات المسلحة في غزة".

نشرت "القدس" في ذات اليوم نفس العنوان تقريباً على صفحتها الأولى و جاء فيه:
"**تجدد عمليات الاغتيال والاختطاف في غزة** (عنوان فرعي)
5 ضحايا بينهم 3 من الوقائي وفتاة وجرحى والعثور على جثتي طفل وسيدة".

أما صحيفة "الحياة الجديدة" فجاء عنوانها على الصفحة الأولى:
"**ملثمون يختطفون وكيل وزارة الصحة في البيرة" (في أذن الصحيفة)**

"**5 قتلى بينهم 3 من الوقائي وفتاة في اشتباكات مؤسفة بغزة**
فتح وحماس تتفقان مجدداً على عودة الهدوء إلى جنوب القطاع وإطلاق سراح الضابط الطويل"

إذن فالضحايا هنا أرقام، اهتمام أبدته الصحف بالعدد اليومي الذي كان يسقط من الضحايا دون أن ترد فيها تقارير تعكس معاناة ذوي هؤلاء، وكان الاعتماد مقتصراً على رواية التنظيم والفصيل أو الأجهزة التي ينتمي إليها الضحايا، في حين لم يطلع القارئ على ظروف وملابسات مقتل الطفلة والسيدة ولم تهتم الصحف بمأساة عائلتيهما ومعاناتهما.

بينما نشرت "الأيام" خبراً آخر يوم 5-1-2007 على صفحتها الأولى:
"**إطلاق نار على سيارة نائب رئيس بلدية نابلس وإحراق نادي إسلامي جنين**"

اللافت في مثل هذا النوع من الأخبار، وكان سياسة متبعة في عناوين صحيفتي "الأيام" و"الحياة الجديدة" عدم الإشارة إلى الهوية السياسية والتنظيمية للخاطفين وهم معروفون، إضافة إلى عدم الإشارة إلى الهوية التنظيمية لوكيل الوزارة المختطف، وهي معروفة أيضاً، فالخاطفون نشطاء من فتح، أما المخطوف فهو من حماس، في حين تشرف حماس وتدير نادي إسلامي رام الله، وهو ما لم تتطرق إليه الصحيفتان المذكورتان.

إذن نحن أمام حالة فريدة من الانتقائية في التعاطي مع الأحداث، ما حرم المواطن العادي من حقه في الحصول على المعلومات الكاملة والكافية لما كان يجري بحيادية وموضوعية.

رغم ذلك نُشِرت بعض التقارير الإخبارية، لكنها كانت بعدد أصابع اليد الواحدة عن أحداث تلك الفترة.

ففي "الأيام" يوم 5 -1-2007 وعلى الصفحة الخامسة، نُشِر تقرير لأسماء الغول بعنوان:
"**غزة لا يزدهر وينمو سوى الموت**"

على أهمية هذا التقرير، فإن اختيار عنوانه على هذا النحو قد لا يكون موفقاً. فالموت نقيض الازدهار والنمو، لكن العنوان بحد ذاته، عكس واقعاً ساد في تلك الفترة، فحوادث الفلتان بلغت ذروتها وكذلك أعمال القتل، ولذلك بدا الخطاب عاطفياً يدغدغ المشاعر ويثيرها ويرسم صورة سوداوية يطغى فيها الموت على ما دونه.

<u>هل التزمت وسائل الإعلام الحيادية والموضوعية والتزمت خطاباً مهنياً تفاؤلياً؟</u>

ليس هناك ما يشير إلى موضوعية وحيادية أو خطاب مهني تفاؤلي في الطريقة التي تعاملت بها وسائل الإعلام خاصة المكتوبة إزاء أحداث الاقتتال الداخلي، وهو ما أشارت إليه تقاريرنا السابقة.

فصحيفة "الحياة الجديدة" في عددها الصادر يوم 5-1-2007 عنونت صفحتها الأولى بما يلي:
-"**خميس أسود في رام الله وغزة بفعل الاحتلال والاقتتال " 8 أعمدة (العنوان باللون الأسود على خلفية حمراء)**
"**يوم دامٍ شمال غزة: مقتل 7 مواطنين بينهم عميد في "الوقائي" وإصابة 60 آخرين بجروح الرئيس وهنية يدعوان إلى الهدوء وسحب المسلحين من الشوارع ومواصلة الحوار**"

على ذات الموضوع أفردت الصحيفة مساحة واسعة لتغطية ما جرى في غزة، وعنونت تقريرها على الصفحة الرابعة:
"**غزة تحت نار الحرب الأهلية: 6 قتلى و 45 جريحاً في الاشتباكات بين فتح وحماس**

القوة التنفيذية اغتالت العقيد أبو المجد ومرافقه وجرحت آخرين في حصار وقصفت منزله بالصواريخ.
إصابة 6 مواطنين برصاص التنفيذية أثناء تشييع أحد عناصر "الوقائي" في دير البلح.
محاصرة موقع لحرس الرئاسة في غزة واختطاف قائد لحماس من حي الصبرة"

أما "الأيام" فكانت عناوينها في ذلك اليوم أقل حدة:
"**غزة: مقتل 7 مواطنين بينهم عقيد في "الوقائي"، وإصابة 75 في اشتباكات بين "حماس" و"فتح" ص1**
"**مخيم المغازي: إصابة 6 مواطنين بجروح مختلفة في إطلاق نار عشوائي خلال تشييع عناصر "الوقائي"**" ص 3

هنا يتكرر الحديث عن الضحايا كأرقام، وهنا أيضاً تأكيد على الهوية التنظيمية والسياسية لفئة من الضحايا، وهو ما يطرح سؤالاً حول الحيادية والموضوعية في النقل الإخباري، وإدراك المسؤولية إزاء أوضاع لم تكن بحاجة إلى من يذكي نار الاقتتال فيها، أو أن يُفهم منها بأنها تحريض على مواصلة هذا الاقتتال.

فلنقرأ العنوان التالي في صحيفة "الحياة الجديدة" يوم 6-1-2007 في الصفحة الثانية:
"**إصابة مدرس بجروح خطيرة على أيدي مسلحين في فرخة**"

لم تشر الصحيفة إلى الهوية التنظيمية والسياسية للمدرس، رغم معرفتها الهوية، فالمدرس أحد نشطاء "حماس"، وأُصيب برصاص ناشطين من "فتح" لكن الصحيفة لم تذكر ذلك.

في المقابل عنوان آخر في ذات الصحيفة على ص2:
"**آلاف المواطنين يشيعون 6 قتلى ويهتفون ضد حماس والقوة التنفيذية في شمال غزة**"
هنا تُظهر الصحيفة الانحياز من خلال إشارتها وتركيزها على "حماس" و"التنفيذية" كسبب في مقتل المواطنين الستة.

صحيفة "القدس" وفي عددها الصادر يوم 9-1-2007 نشرت على صفحتها الأولى العنوان التالي:

"**الرئيس قلق وساخط وأمر بملاحقة المعتدين وتقديمهم للعدالة** (عنوان فرعي)
إحراق مؤسسات ومحلات تجارية ومحاولة خطف في رام الله والبيرة"

التقرير نُشِر على 8 أعمدة، دون أن تشير الصحيفة إلى هوية المعتدين كذلك فعلت "الأيام" في تقريرها حول نفس الأحداث في صحيفة يوم 7-1-2007 وعلى صفحتها الأولى، واكتفت بعنوان:

"**عمليات إطلاق نار وخطف في نابلس ورام الله**"

أيضاً دون الإشارة إلى الفاعلين، وكانوا معروفين أيضاً بانتمائهم لحركة "فتح" وبعضوية كتائب "شهداء الأقصى".

كان لافتاً أيضاً التقرير الذي نشرته صحيفة "القدس" على صفحتها الثانية في عددها الصادر يوم 13-1-2007، نقلاً عن وكالة الأنباء المستقلة "معاً".

التقرير حمل عنوان "صلبوه على الجدار وقتلوه":

"**سفيان أبو زايدة يروي تفاصيل الهجوم على منزله ولحظات تصفية صديقه محمد غريب**"

لا ضير فيما نشرته الصحيفة إزاء حادثة مثلت انعطافه في الاقتتال الداخلي بين "فتح" و"حماس" لكن لماذا غُيبت كثير من التقارير عن حوادث مشابهة وقعت سقط فيها أيضاً مدنيون أبرياء.

ربما الاهتمام بحادثة أو مجموعة حوادث بعينها وإسقاط أخرى من دائرة التغطية حمل رسائل معينة، إزاء ما تُتهم به الصحف المحلية من عدم الموضوعية والحيادية، وتَبني رواية دون أخرى. علماً بأن صحيفة "القدس" نشرت لاحقاً مقالة للنائب عيسى قراقع من حركة "فتح"، طرح فيها تساؤلات خطيرة حول ظروف وملابسات مقتل العميد غريب، حملت كثيراً من النقد للأجهزة الأمنية التي لم تفعل شيئاً لتخليص غريب من خطر الموت الذي كان يواجهه.

هذا النوع من المقالات والتقارير هو ما كان يحتاجه المواطن في تلك الفترة، والذي يطرح دوماً تساؤلات حول حقيقة ما جرى في تلك الفترة.

إن حجم التغطية التي أفردتها الصحف الثلاث للاقتتال عبر نشر الأخبار والتقارير ورسومات الكاريكاتير في الفترة التي سبقت اتفاق مكة وقيام حكومة الوحدة لاحقا مرده بلوغ هذا الاقتتال مرحلة خطيرة باتت تؤثر على السلم الأهلي، ولصالحه تراجع اهتمام وسائل الإعلام تلك بالتصعيد الإسرائيلي في الضفة الغربية من اجتياحات واعتقالات وحتى اغتيالات، وإذا كانت بعض الصحف ساوت بين اقتتال غزة وما يرتكبه الاحتلال الإسرائيلي في الضفة من حيث النتائج، فإن المساحة الأكثر في التغطية كانت أكثر لاقتتال غزة وامتداده في الضفة على الرغم من خطورة ما قام به الإسرائيليون خاصة في القدس حيث شرعت جرافاتهم بهدم تلة المغاربة قرب المسجد الأقصى.

في تلك الفترة حاولت الصحف الثلاث رصد المواقف الإسرائيلية من الاقتتال الداخلي، واهتمت على وجه الخصوص بتقديرات إسرائيلية نشرتها وسائل الإعلام العبرية إزاء هذا الاقتتال.

فصحيفة "القدس" اهتمت في حينه وعلى صدر صفحتها الأولى بنشر تقرير للشاباك الإسرائيلي في عددها الصادر يوم 1-2-2007
جاء في العنوان ما يلي:
"**تقرير للشاباك لا يتوقع توقف القتال**"
وفي تقرير آخر: "**سيناريو حرب تستعد له إسرائيل: حرب أهلية ومذابح في القطاع، وتدفق لاجئين إلى حدودها...**".

لم تذكر الصحيفة مصدر التقرير، ولم تعلق عليه بالتحليل والمتابعة، مكتفية بنشر تقييمات وتقديرات إسرائيلية ثبت في أكثر من مرة عدم دقتها ومصداقيتها.

التقرير ذاته نشرته صحيفة "الأيام" أيضاً، لكن بعنوان لافت جاء فيه:

"**إسرائيل تخطط لإنقاذ الشعب الفلسطيني من مذابح داخلية**"

لم نجد في الصحيفة، ما يفند التقييمات والتقديرات الإسرائيلية كما لم يرد بها ولو تعليق فلسطيني واحد على هذه التقديرات الإسرائيلية، ربما لأن الصحف المحلية وكما جرت العادة تكتفي بالنقل المجرد دون اهتمام بالمتابعة والتحليل والتثبت من المعلومات والتقارير، وهي مشكلة تعاني منها وسائل الإعلام الفلسطينية بمقادير متفاوتة.

اتفاق مكة

حظيت المداولات والمشاورات التي سبقت اتفاق مكة بين الطرفين المتصارعين "فتح" و"حماس"، بتغطية واسعة أيضاً واهتماماً خاصاً من الصحف الثلاث، فهذا الحدث كما كان عليه (حال الاقتتال الداخلي) فرض نفسه على وسائل الإعلام المكتوبة أيضاً، لكن طريقة تناوله وتغطيته ظلت في حدود النقل الآني لما يحدث، واقتباس التصريحات الصادرة من هنا وهناك، وكان الاعتماد الأكبر على تقارير وكالات الأنباء الدولية وحتى المحلية.

ورغم الحوارات التي كانت تجري في مكة، فإن الفلتان الأمني والاقتتال تواصل لكن الصحف الثلاث قلصت من هامش تغطيته، وابتعدت عن أسلوب الإثارة الإعلامية الذي اعتمدته في تغطيتها ليوميات الاقتتال قبل ذلك، وقد يكون ذلك حرصاً على ألا تؤثر تلك الأحداث على جولات الحوار التي شدت إليها أنظار وأفئدة الفلسطينيين الذين أرادوا خلاصاً من الاقتتال.

كذلك فإن الاتهامات والتراشق الإعلامي لم يتوقف بين مسؤولي "فتح" و"حماس" في تلك الفترة ففي تقرير نشرته صحيفة "الأيام" عشية بدء الحوار بعنوان:

"**مكة: ثلاث نقاط خلافية وثلاث نقاط للتفاؤل**"

ينقل التقرير عن مسؤولين في حركة "فتح" اتهامات "لحماس" بمحاولة الأخيرة السيطرة على مؤسسات أمنية قبل توجهها إلى مكة لإثبات أن غزة بأكملها تحت سيطرتها وبالتالي لن تجري انتخابات.

إلى جانب ذلك بدأت الصحف الثلاث تعطي اهتماماً أكبر لما يجري من حفريات إسرائيلية في محيط المسجد الأقصى، وقد تزامنت هذه الحفريات مع بدء حوارات مكة، ما جعل تلك الصحف

تربط بين هذه الحوادث، والشروع بهذه الحفريات التي وُصفت فلسطينياً بأنها الأخطر منذ العام 67، وأمام انشغال هذه الصحف بهذين التطورين تقلص إلى حد بعيد اهتمامها في تغطية بعض أحداث الفلتان الأمني والتي تراجعت حدتها آنذاك.

فصحيفة "الحياة الجديدة" نشرت خبراً في 7-2-2007 على الصفحة الرابعة تحت عنوان:
"**الشيخ تيسير التميمي: إسرائيل ترتكب مذبحة حضارية بحق القدس**".

كما نشرت في ذات اليوم والصفحة تصريحاً للدكتور أحمد بحر النائب الأول لرئيس المجلس التشريعي، عنونته بما يلي:
"د.**بحر يحذر من انتفاضة ثالثة ويدعو المتحاورين للاتفاق على حكومة الوحدة**"

واهتمت صحيفة "الأيام" في عددها الصادر يوم 8-2-2007 بنشر تفاصيل الحوارات في مكة.

ففي صفحتها الأولى كتبت "الأيام" على 6 أعمدة:
"**المتحاورون في مكة مصممون على التوصل إلى اتفاق**"

وفي عنوان رئيسي كتبت الصحيفة على صفحتها الحادية عشرة:
"**الرئيس في الجلسة الافتتاحية للقاء مكة: "لا نخرج إلا متفقين على الخير ولا نريد أن تتكرر الأحداث السوداء على الساحة الفلسطينية** "

وعنوان آخر على نفس الصفحة:
"**مشعل: جئنا لنتفق ولا مجال أمامنا إلا الاتفاق وسنطوي صفحة الخلافات الداخلية**".

الشيء ذاته فعلته صحيفة "الحياة الجديدة" في عددها الصادر يوم 8-2-2007، وكتبت ما يلي:
"**الرئيس ومشعل لن نخرج من هذا المكان المقدس إلا ونحن متفقون**".

في حين عنونت "القدس" رئيسيتها في ذلك اليوم بما يلي:

"**حوار" الوفاق الوطني" انطلق في رحاب مكة (عنوان فرعي)**

عباس ومشعل: لا مجال للفشل".

في الجانب الآخر اهتمت الصحف الثلاث بإبراز وإظهار الموقف الإسرائيلي عشية بدء الحوار في مكة، دون الغوص كثيراً في خلفيات هذا الموقف وأبعاده، ودون تحليلها أو متابعتها.

ونقلت الصحف الثلاث عن رئيس الوزراء الإسرائيلي قوله آنذاك:

"**على أي حكومة فلسطينية أن تحترم مبادئ الرباعية**"

كما نقلت تصريحاً عن وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيفي ليفيني قالت فيه:

"**العالم لن يقبل بحكومة فلسطينية لا تنبذ العنف، ولا تعترف بحق إسرائيل بالوجود**"

كذلك أبرزت الصحف ردود الأفعال الشعبية على حوارات مكة، بعد أن كانت أكثر إثارة في تغطيتها لأحداث الفلتان"

صحيفة "الأيام" وفي عددها الصادر يوم 9-2-2007 كتبت على صفحتها الأولى في أُذن الصفحة:

"**احتفالات شعبية ابتهاجاً بالاتفاق**"

عنوان آخر على نفس الصفحة وعلى 8 أعمدة وباللون الأحمر:

"**اتفاق مكة: حكومة وحدة وشراكة سياسية، تكليف هنية بالتشكيل وتوزيع الحقائب**"

لقد ساهمت تغطية الصحف الثلاث آنذاك في تهيئة الرأي العام لمرحلة جديدة من الوفاق، وإن لم تكن هذه التغطية بالحجم المطلوب من متابعة وتحليل ما يجري من حوارات وتزويد القارئ بمعلومات دقيقة عن مجريات الحوار في مكة، لكن المساحة التي أعطتها الصحف والعناوين التي أفردتها، جعل اهتمام المواطن العادي القلق مما يجري قبل ذلك منصباً على معرفة ما إذا اتفق المتقاتلون أو لم يتفقوا.

وحين أُعلن الاتفاق، اختصرت صحيفة "القدس" في عددها الصادر يوم 9-2-2007 حالة الانتظار والترقب الشعبي بالعنوان الرئيسي التالي وباللون الأحمر:

"**.....اتفقوا**" 8 أعمدة

فكان الاختصار على هذا النحو موفقاً وحمل كثيراً من الدلالات، ونادراً ما تُكتب عناوين على 8 أعمدة، لولا خطورة وأهمية الحدث وتداعياته.

واهتمت الصحيفة في ذات العدد بإبراز المواقف الإسرائيلية والأمريكية والدولية حيث كتبت:

"**البيت الأبيض يضع شروطاً للحكومة الفلسطينية**" ص1

"**وزيرة الخارجية البريطانية: الاتفاق تطور مهم**" ص3

"**إسرائيل: على الحكومة الفلسطينية احترام المبادئ الدولية**" ص3

أما صحيفة "الحياة الجديدة" فنشرت الخبر على صدر صفحتها الأولى بالأحمر وأفردت له 8 أعمدة وكتبت ما يلي:

"**ميلاد حكومة الوحدة في مكة**"

الرئيس يكلف هنية بتشكيل الحكومة الجديدة ويطلب منها احترام الاتفاقيات"

كما اهتمت الصحيفة بإبراز تصريحات كبار المسؤولين في حوارات مكة منها على الصفحة الثانية:

"**الرئيس:عهد جديد وحكومة قادرة على الإقلاع**"

"**مشعل: لن نخذل شعبنا وأمتنا ولا غطاء لأي اقتتال**"

"**هنية: سنكون على قدر المسؤولية ونصون العهد**".

إذن، فالحدث فرض نفسه، وإذا كانت أحداث الفلتان وذروته الدامية خلقت شعوراً من الإحباط والغضب والقلق ترجمته الصحف الثلاث في أخبارها وتقاريرها وعناوينها، فإن الحدث المتعلق باتفاق مكة خلق أجواء من التفاؤل والأمل عكسته أيضاً الصحف.

وبات المتابع لتطورات تلك الفترة يلاحظ تبدل العناوين واهتمامات تلك الصحف. بالنظر إلى الأوضاع الجديدة المستجدة.

صحيفة "الأيام" في عددها الصادر يوم 10-2-2007 وعلى صفحتها السابعة رصدت حالة الابتهاج الشعبي باتفاق مكة واختزلته بالعنوان التالي:

"**عناصر "فتح" و"حماس" يتعانقون ويتبادلون الرايات** (عنوان فرعي)

شوارع غزة تضج بالاحتفالات فرحاً باتفاق مكة"

كما أفردت الصحيفة في مواقع أخرى منها مساحة واسعة لردود الفعل المرحبة بالاتفاق.

وعلى صفحتها التاسعة نُشِر تقرير إخباري عن طفلة غزية حرمها الاقتتال الداخلي من منزل جديها في جباليا"

التقرير حمل العنوان التالي:

"**بعد أن منعها الاقتتال الداخلي من زيارتها لأكثر من شهر: اتفاق مكة يوصل الطفلة هازار إلى منزل جديها في جباليا**"

في الواقع فإن مثل هذه التقارير والقصص الصحفية التي تتسم بطابع إنساني كانت غائبة أو مغيبة، سواء في الفترة التي شهدت ذروة الفلتان الأمني، وما قبل تلك الفترة التي سادت فيها حالة من الاستقرار والسلم الأهلي، وقد تتعددت التفسيرات والتبريرات لهذا الغياب أو التغييب، منها ما تعلق بسياسة كل صحيفة على حدة سواء الإعلامية أو الإعلانية، ومنها ما تعلق بالمراسل الصحافي ذاته وبالحوافز المهنية المعطاة له، مع الإشارة إلى أن القصة الصحفية غير مألوفة ومعروفة في الصحف المحلية، ربما لأن كتابتها تتطلب معرفة واطلاعاً واكتساب خبرة يفتقد إليها كثير من الصحافيين.

ما بعد اتفاق مكة:

أعطت الصحف الثلاث ما بعد اتفاق مكة اهتماماً خاصاً بالمشاورات والمداولات لتشكيل حكومة الوحدة الوطنية، ونقلت كثيراً من الأخبار والتقارير بصورة مجردة عن هذه المشاورات، لكنها لم تتعمق بصورة كبيرة فيما كان يدور من وراء الكواليس، وكانت تقاريرها تصريحات لمسؤولين من هنا وهناك وبيانات تصدر عن هذا الفصيل أو ذاك.

مع ذلك واصلت الصحف اهتمامها بتداعيات اتفاق مكة وتأثيراتها على المواطنين، وتعزيز السلم الأهلي وثقافة التصالح والدعوة إلى الوحدة.

وكانت رسوم الكاريكاتير الأكثر حضوراً في هذا الشأن، وبعد أن كانت الصحف منبراً للتراشق الإعلامي بين الناطقين والمتحدثين السياسيين والإعلاميين من حركتي "فتح" و"حماس"، أصبحت بين عشية وضحاها تروج لخطاب جديد، وكان الانتقال بين الحالتين سريعاً.

فصحيفة "القدس" نشرت في عددها الصادر يوم 10-2-2007 كاريكاتيراً يُظهر الصخرة المشرفة وقد أحاط بها جدار رُسمت عليه قبضة يد معلقة في إشارة إلى أن الوحدة هي سياج يحمي القدس.

أما صحيفة "الحياة الجديدة" فنشرت كاريكاتيراً لرسامة الكاريكاتير أُمية جحا لعجوزين فلسطينيين متعانقين، وقد كُتب التعليق التالي:

"كفكفي دمعك يا أم محمد...لو كان دم ولدنا اللي استشهد في الفتنة الملعونة قربان لوحدة شعبنا ضد المحتل مش راح نبخل بكل أولادنا فدا فلسطين والأقصى"

على أهمية الفكرة التي حملها الكاريكاتير إلا أنها جاءت مباشرة وتميز نص التعليق بطوله، وكأننا أمام خبر كُتب بالعامية، في حين أن المضمون اشتمل على خطاب عاطفي، وغير معقول "مش راح نبخل بكل أولادنا فدا فلسطين"

كفكفي دمعك يا أم محمد ....لو كان دم ولدنا اللي استشهد
في هالفتنة الملعونة قربان لوحدة شعبنا ضد المحتل ..
مش راح نبخل بكل أولادنا فدا فلسطين و الأقصى
أمنيه جمعا

بينما انفردت "الحياة الجديدة" يوم 10-2-2007 على صفحتها السابعة بنشر تقرير إخباري تضمن لقاءات مع مواطنين في غزة، تحدثوا فيه عن انعكاسات اتفاق مكة على أوضاعهم الاقتصادية، وحمل التقرير العنوان التالي:
"**المواطنون في غزة: اتفاق مكة سيغير عجلة الحياة الاقتصادية ويحل أزمة الرواتب**"

هذا النمط من المواضيع بالكاد تتابعه الصحف على الرغم من أهميته، وبالنظر إلى ارتباطه بالأزمة السياسية والاقتصادية، لهذا كان من الجيد التطرق إلى مثل هذه الموضوعات ذات الصلة بالتطور السياسي الذي مثله اتفاق مكة. وكان حرياً بالصحف أن ترصد ردود فعل الناس على هذا الاتفاق وانعكاساته على حياتهم اليومية، وأن لا تكتفي بتصريحات الساسة والمسؤولين.

ومع اهتمام الصحف في تلك الفترة بتغطية مسيرات الابتهاج والتأييد للاتفاق، بدا مزيد من الاهتمام بنشر تقارير إخبارية تحلل تداعيات الاتفاق، وهو تطور مهم في اهتمامات الصحف وتوجهاتها.

المواقف الإسرائيلية والأمريكية والدولية من اتفاق مكة:

مع الاهتمام الكبير الذي أولته الصحف الفلسطينية لاتفاق مكة وتداعياته، كان هناك اهتماماً من هذه الصحف بالمواقف الإسرائيلية والأمريكية والدولية عموماً.

ولم يكن بإمكان وسائل الإعلام الفلسطينية آنذاك تجاهل هذه المواقف لتأثيراتها الكبيرة والمباشرة على الملف الفلسطيني ومستقبل حكومة الوحدة الوطنية التي تشكلت لاحقاً.
وبدا تركيز وسائل الإعلام تحديداً على الموقف الإسرائيلي من الاتفاق، من خلال رصد التصريحات الصادرة عن مسؤولين إسرائيليين، والربط بين التصعيد الميداني الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني سواء بالحفريات التي شرعت بها إسرائيل عشية حوارات مكة، وما سبقها وتلاها من اجتياحات واعتقالات، وحتى اغتيالات، ما فُسِر فلسطينياً آنذاك بأنه محاولة إسرائيلية للتأثير على المتحاورين في مكة وتوجيه رسائل سياسية لهم مفادها أن إسرائيل هي وحدها التي تقرر في كل ما يتعلق بالشأن الفلسطيني.

فعشية اتفاق مكة كان المسؤولون الإسرائيليون يتسابقون على أداء التصريحات المتعلقة بهذا الاتفاق وتداعياته، وهو ما احتل عناوين رئيسية في الصحف الثلاث.

فصحيفة "الأيام" في عددها الصادر يوم 8-2-2007 على صفحتها الأولى نقلت تصريحات لأولمرت قال فيها:
"**على أي حكومة فلسطينية أن تحترم مباديء الرباعية**"

ومثلها أيضاً فعلت "الحياة الجديدة" وفي اليوم ذاته حين نقلت تصريحات أولمرت المذكورة.

في حين نقلت صحيفة "القدس" في عددها الصادر ليوم 8-2-2007، تصريحات لوزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيفي ليفني في صفحتها الثانية قالت فيها:
"**العالم لن يقبل بحكومة فلسطينية لا تنبذ العنف ولا تعترف بحق إسرائيل بالوجود**".

واكتفت الصحف آنذاك بنقل التصريحات والمواقف الإسرائيلية التي بدا بعضها وكأنه محاولة ابتزاز من قبل إسرائيل للتأثير على المتحاورين في مكة.

فصحيفة "القدس" نشرت في عددها الصادر يوم 10-2-2007 في صفحتها الثانية التصريح الآتي:
"**ليفني:"حماس" لا تمثل مصالح الفلسطينيين**"

وعلى نفس الصفحة نشرت الصحيفة تصريحات لشمعون بيرس قال فيها:
"**يجب دراسة تفاصيل الاتفاق بإمعان**"

ما يُشار إليه بهذا الشأن هو أن الصحف الثلاث أعطت اهتماماً للمواقف الإسرائيلية كافة، بالرغم من أن هذا الاهتمام اقتصر على التصريحات الصادرة عن مسؤولين إسرائيليين لم تتجاوزها إلى

التحليل والقراءة وتفصيل هذه المواقف، وهو ما يحتاجه القارئ عادة في ظروف وأوضاع تتداخل فيها تأثيرات أطراف خارجية على صلة بصراع داخلي.

صحيفة "الحياة الجديدة" وفي عددها الصادر يوم 10-2- 2007 في صفحتها الأولى نقلت عن مسؤولين إسرائيليين ما نصه:
"**اتفاق مكة لا يفي بشروط المجتمع الدولي**"

وفي عنوان آخر على الصفحة الأولى وعلى 8 أعمدة وباللون الأحمر كتبت "الحياة الجديدة":
"**إسرائيل ترد على اتفاق مكة باقتحام المسجد الأقصى**"

إذن هناك اهتمام بالموقف الإسرائيلي والسياسي والميداني من الاتفاق كان طبيعياً ومتوقعاً أن تبرزه الصحف الفلسطينية وتشبعه قراءة وتحليلاً، لا أن تُشير إليه فقط، نظراً لانعكاسات هذا الاتفاق على الطرف الآخر-أي إسرائيل- التي بدت معنية باستمرار الاقتتال الفلسطيني، وانشغال الفلسطينيين بخلافاتهم، وحين نجحوا بالاتفاق بدأت المؤسسة الإسرائيلية بممارسة ابتزازهم سياسياً، ومحاولة التأثير على المواقف الدولية.

صحيفة "الأيام" يوم 11-2-2007 نقلت بهذا الشأن على صفحتها الأولى عن أفيغدور ليبرمان الوزير في الحكومة الإسرائيلية قوله:
"**ليبرمان: حكومة الوحدة الفلسطينية قد تمنح شرعية دولية "لحماس**""
وفي عنوان آخر في الصحيفة على نفس الصفحة:
"**بيرس يجب على "حماس" أن تعترف بإسرائيل**"

والملاحظ أن الصحف الفلسطينية وفي تغطيتها للمواقف الإسرائيلية نقلت وفي أكثر من مناسبة تصريحات متناقضة لمسؤولين إسرائيليين حيال اتفاق مكة دون أن تلتفت هذه الصحف إلى أن هذا التناقض في التصريحات لم يمس جوهر الموقف الإسرائيلي الثابت بخصوص حكومة الوحدة الوطنية التي تمخضت عن اتفاق مكة.

وحاول الإسرائيليون أن يُظهروا غموضاً في مواقفهم إزاء اتفاق مكة، فلا هم معه، ولا هم ضده، وفي أحسن الأحوال فقد اختاروا الانتظار والتريث، وهذا ما لم تحاول وسائل الإعلام الفلسطينية التركيز عليه بالتحليل والمتابعة.

صحيفة "الحياة الجديدة" وفي عددها ليوم 12-2-2007 على الصفحة الأولى كتبت العنوان التالي:

"**كرر مطالبة إسرائيل بأن تقبل أية حكومة فلسطينية جديدة شروط "الرباعية** (عنوان فرعي)

أولمرت يفضل التريث قبل الإعلان عن موقف حاسم من اتفاق مكة"

وفي ذات الموضوع كتبت صحيفة "الأيام" في نفس اليوم، على الصفحة الأولى وعلى 6 أعمدة:

"**أولمرت: لا نؤيد ولا نعارض اتفاق مكة بل نقوم بدراسته** (عنوان فرعي)

واشنطن تدرس التعامل مع الوزراء "غير الحمساويين" وإسرائيل تجدد المطالبة بتنفيذ شروط "الرباعية""

ومع الاهتمام الذي أعطته الصحف للموقف الإسرائيلي من اتفاق مكة وحكومة الوحدة الوطنية، برز اهتمام آخر بالمواقف الأمريكية والدولية خاصة الأوروبية، وسجلت الصحف تلك المواقف عبر سلسلة التقارير الصحفية التي كانت تنشرها بعض وكالات الأنباء وحتى وسائل الإعلام الإسرائيلية، معتمدة فقط على هذه التقارير والتي تبين لاحقاً عدم دقتها وصحتها.

فصحيفة "الأيام" الصادرة يوم 16-2-2007 على الصفحة الأولى باللون الأحمر وعلى 4 أعمدة نشرت خبراً عن وسائل الإعلام الإسرائيلية جاء فيه:

"**واشنطن تبلغ الرئيس بقرارها مقاطعة جميع أعضاء حكومة الوحدة الوطنية**"

ونفس الخبر جاء في "الحياة الجديدة" على النحو التالي:

"**أمريكا تبلغ الرئيس مقاطعتها لحكومة الوحدة بسبب عدم التزامها بشروط الرباعية**"

أما صحيفة "القدس" فنشرت الخبر الرئيس على الصفحة الأولى وعلى 8 أعمدة على النحو التالي:

"**الرئيس يكلف هنية بتشكيل حكومة الوحدة وأمريكا تهدد بمقاطعتها**"

وفي خبرٍ آخر على 4 أعمدة:
"**لا تفرق بين وزراء "فتح" و"حماس" والمستقلين**
أمريكا ستقاطع جميع أعضاء الحكومة إذا لم تستجب للشروط الثلاثة"

اللافت هنا أن الصحف الثلاث لم تكلف نفسها عناء التثبت من صحة هذه الأنباء، واكتفت بنقلها عن وسائل الإعلام الإسرائيلية دون أن تحدد طبيعة هذه المصادر أو الوسائل الإعلامية التي نقلت عنها.
لكن ما حدث هو أن النفي جاء في اليوم التالي على لسان وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس.
وقد نشرت الصحف الفلسطينية تصريحات الوزيرة الأمريكية كما فعلت "القدس" في عددها الصادر يوم 17-2-2007 على صفحتها الأولى وعلى 8 أعمدة.
"**رايس تنفي رفض أمريكا التعامل مع حكومة الوحدة الوطنية**"

أما "الحياة الجديدة" فكتبت عن نفس الموضوع:
"**واشنطن: الحكم على الحكومة الفلسطينية بعد تشكيلها**"

لكن الصحيفة تنقل في موضع آخر عن مصادر إسرائيلية لم تسمها:
"**رايس وأولمرت غاضبان من عباس بسبب اتفاق مكة وتكليف هنية**"

وعلى صفحة "الأيام" الأولى نجد عنواناً مماثلاً لما أوردته صحيفة "الحياة الجديدة":
"**دبلوماسيون: واشنطن تضغط على أعضاء في "فتح" ومستقلين لعدم الانضمام للحكومة**".

أيضاً تواصل الصحف نقلها للمواقف الأمريكية والإسرائيلية استناداً إلى تقارير إعلامية غير دقيقة، كما هو الحال في صحيفة "الأيام" في يوم 18-2-2007 على الصفحة الأولى وباللون الأحمر على 4 أعمدة:
"**أولمرت وبوش يتفقان على مقاطعة الحكومة الفلسطينية ما لم تلبِ الشروط الدولية**"

والشيء ذاته تفعله صحيفة "الحياة الجديدة" حين تنقل نفس الخبر بذات العنوان تقريباً.

بينما تنشر صحيفة "القدس" في عددها ليوم 19-2-2007 على الصفحة الأولى وعلى 8 أعمدة ما نصه:

"**رايس تمتنع عن تحديد موقف بلادها من اتفاق مكة، وتنفي تصريحات لأولمرت**"

مع إبرازها تصريحات أولمرت بهذا الشأن، والتي يقول فيها:

"**إسرائيل وأمريكا ستقاطعان حكومة الوحدة الفلسطينية**"

تتبعه بتصريحات نُسبت إلى رايس بهذا الشأن تقول فيها:

"**أموال دافعي الضرائب لن تذهب لحكومة لا تعترف بمبادئ الرباعية**"

إذن فالصحف تكتفي بالنقل عن وكالات الأنباء وعن وسائل الإعلام الإسرائيلية وحتى عن مصادر ترفض الكشف عن هويتها-والسؤال: أين دور الصحفي المحلي؟ ولماذا لا نقرأ تقارير لمراسلي تلك الصحف؟

بالرغم من ذلك يمكن القول أن الصحف الثلاث واكبت تطورات الموقفين الإسرائيلي والأمريكي من اتفاق مكة اللذين بديا متطابقين، وإن اختلفت صيغ التعبير عنهما.

وقد بدا واضحاً من رصد المواقف الإسرائيلية والأمريكية تطوراً سياسياً غامضاً وخجولاً، وانتهت إلى وضوح أكثر، تم التعبير عنه لاحقاً بمواقف اتسمت بالانتقائية وفرض مزيد من الاشتراطات على حكومة الوحدة الوطنية، بل أن وزير الدفاع الإسرائيلي عمير بيرتس ذهب إلى موقف أكثر تطرفاً من رئيس وزرائه حين نقل عنه قوله:

"**لا فرق بين وزراء "فتح" و"حماس" في حكومة الوحدة**"

كما ورد في صحيفة "الحياة الجديدة" في عددها الصادر يوم 20-2-2007 في أُذن الصفحة الأولى.

بينما نقلت صحيفة "الأيام" على صفحتها الأولى تصريحات لأولمرت قال فيها: "**سنواصل الحوار مع أبو مازن، لكن لن نتعامل مع حكومة لا تلبي الشروط**".

وفيما بدا أنه ممارسة مزيد من الضغوط الإسرائيلية على حكومة الوحدة الوطنية، كتبت صحيفة "القدس" في عددها يوم 21-2-2007 على الصفحة الأولى وعلى 8 أعمدة الخبر التالي:

" **لن نلتقي حتى مع وزراء معتدلين مثل سلام فياض (عنوان فرعي)**

إسرائيل لن تتفاوض مع عباس حول الوضع النهائي إذا نُفِذ اتفاق الشراكة مع حماس"

وبينما اهتمت "القدس" في اليوم التالي بنشر تصريحات للوزيرة كونداليزا رايس قالت فيها إن واشنطن ستنتظر تشكيل حكومة الوحدة الوطنية قبل اتخاذها أي قرار.

ومع التشدد الإسرائيلي إزاء اتفاق مكة وحكومة الوحدة، اهتمت الصحف الثلاث بإبراز الوجه الآخر للموقف الإسرائيلي من هذا الاتفاق، أي التصعيد الميداني الذي زاد الإسرائيليون من وتيرته بعد الإعلان عن اتفاق مكة، فكان اجتياحهم العنيف لنابلس وقيامهم بسلسلة من عمليات الاغتيال والتدمير، مع ما رافق ذلك من استمرار الحفريات في محيط المسجد الأقصى، وهي تطورات دفعت بالفلسطينيين إلى الربط بين هذا التصعيد والرفض الإسرائيلي للاتفاق في محاولة لإفشاله.

واهتمت الصحف الفلسطينية بإبراز هذا التصعيد وربطه بالتطورات السياسية التي مثلت في حينه تجاوزاً لمرحلة الاقتتال الداخلي.

صحيفة "القدس" في عددها ليوم 1-3-2007 على الصفحة الأولى وعلى 5 أعمدة نشرت عنواناً رئيسياً حول هذا التصعيد ورد فيه:

"**الجيش الإسرائيلي يعيد اقتحام نابلس وإصابة 20 مواطنا و3 جنود (عنوان فرعي)**

اغتيال 3 من قادة "سرايا القدس" في مخيم جنين بينهم أشرف السعدي"

وفي عنوان آخر ربط التصعيد الإسرائيلي باتفاق مكة كتبت "القدس" على الصفحة الثانية عشرة:

"**هاني الحسن: الانتهاكات الإسرائيلية في نابلس وجنين تعبير عن خشية إسرائيل من اتفاق مكة**".

في المحصلة يمكن القول أن الصحف الثلاث واكبت الموقفين الأمريكي والإسرائيلي من اتفاق مكة وحكومة الوحدة، إلى أن انتهى هذان الموقفان إلى تطابق بينهما حيال التعامل مع نصف الحكومة، ورفض التعامل مع النصف الآخر الذي تمثله "حماس"، وهو موقف غير مألوف في العلاقات الدولية أي أن تعترف بنصف حكومة وتقاطع نصفها الآخر.

هذه المواكبة قد لا تكون بالمستوى المطلوب، لكنها أضافت جديداً للقارئ بما مكنه من فهم دوافع هذين الموقفين وطريقة تعامل الإسرائيليين والأمريكيين مع حكومة يُفترض أن تتبنى برنامجاً واضحاً يستجيب للشروط الدولية.

لهذا وجدنا الصحف تتابع تفاصيل الموقفين خاصة الأمريكي الذي أخذ بعد تشكيل الحكومة الجديدة منحى آخر باتجاه التعامل مع نصف هذه الحكومة، فيما بقي الموقف الإسرائيلي على حاله من الرفض المطلق للتعامل مع الحكومة، واستثناء الرئيس محمود عباس من هذه المقاطعة مع اقتصار التعامل معه على بعض القضايا التي قال الإسرائيليون أنفسهم بأنها "قضايا إنسانية".!!!

صحيفة "الأيام" في عددها الصادر يوم 19-3-2007 أشارت إلى الموقف الأمريكي هذا بعنوان رئيسي على صفحتها الأولى وعلى 3 أعمدة:
"**واشنطن: لن نتفاوض مع حكومة الوحدة ولا نستبعد الاتصال بوزراء "غير حمساويين""**

وفي عنوان آخر في نفس الصحيفة وعلى الصفحة الأولى:
"**الحوار مع عباس سيقتصر على الظروف المعيشية: (عنوان فرعي)**
حكومة أولمرت تؤكد مقاطعة حكومة الوحدة وتدعو المجتمع الدولي لمواصلة فرض الحصار".

في حين اختارت صحيفة "القدس" عنوانها على النحو التالي على الصفحة الأولى وعلى 4 أعمدة:
"**انفصال أمريكي عن المقاطعة الإسرائيلية لجميع أعضاء الحكومة (عنوان فرعي)**
"**واشنطن تعتزم الاتصال مع الوزراء وغير "الحمساويين""**.

إتفاق مكة: مواقف أوروبية ودولية:

يمكن القول أن المواقف الأمريكية والإسرائيلية من اتفاق مكة وحكومة الوحدة الوطنية مواقف متطابقة ومتداخلة بل تكمل الواحدة منها الأخرى.
وإن تمايزت مواقف الجانبين من حكومة الوحدة الوطنية، فقد كان تمايزاً في التعامل مع نصف وزراء الحكومة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، في حين قررت إسرائيل أن تبقى على قناة اتصال فقط مع الرئيس محمود عباس "أبو مازن" دون صلة بحكومة الوحدة الوطنية التي شكلها.

اتسم الموقف الأمريكي بداية بالحذر من اتفاق مكة، ووضع شروطاً على أية حكومة فلسطينية قد تنبثق عنه، وتارة أخرى كانت المواقف الأمريكية تتسم بالغموض من تلك الحكومة، ما فسر التردد الأمريكي في التعامل مع هذه الحكومة، وعدم المساهمة في رفع الحصار السياسي والمالي الذي فرض على الحكومة العاشرة برئاسة "حماس".

هذه المواقف الأمريكية احتلت عناوين في الصحف الفلسطينية- كما أوردنا آنفاً- حيث نشرت في تلك الصحف آنذاك كثيراً من التصريحات الصادرة عن مسؤولين أمريكيين أو ما كان يعلن عن مواقف أمريكية رسمية عن الإدارة الأمريكية، ولم تكن هذه المواقف محل متابعة وتحليل ورصد من قبل وسائل الإعلام، اللهم الاكتفاء بنقل ردود الفعل الفلسطينية الرسمية على هذه المواقف.

وقد تكررت في تلك الفترة ذات العناوين رصدت جميعها تطورات الموقف الأمريكي من اتفاق مكة وحكومة الوحدة.

لكن اللافت في المواقف الدولية وتحديداً الأوروبية منها، هو استقلاليتها عن مواقف إسرائيل والولايات المتحدة إلى حد كبير.

وقد أبرزت الصحف الثلاث آنذاك في عناوينها تلك المواقف المتمايزة للدول الأوروبية، ولبريطانيا الحليف للولايات المتحدة والداعمة لإسرائيل، ما اعتبره الفلسطينيون في حينه بداية تحطم جدار الحصار السياسي المفروض على الشعب الفلسطيني.

صحيفة "القدس" وفي عددها الصادر يوم 19-2-2007 نشرت على صفحتها الأولى:
"**وزيرة الخارجية البريطانية: "الاتفاق تطور مهم**".
في إشارة إلى اتفاق مكة.
وفي ذات الصحيفة على الصفحة الثانية نقرأ العنوان التالي:
"**الاتحاد الأوروبي يرحب بحذر باتفاق مكة وينتظر تشكيل حكومة فلسطينية تلبي مطالب الرباعية**".

في حين نشرت "الأيام" في عددها ليوم 10-2-2007 على الصفحة الأولى على 4 أعمدة:
باريس: "اتفاق مكة خطوة باتجاه الاعتراف بإسرائيل"

بينما كتبت الصحيفة في عنوان ثالث على الصفحة الأولى:
"**اتفاق مكة: الرباعية تتبنى موقفاً حذراً ومتفائلاً بانتظار تشكيل حكومة الوحدة**".

إذن نحن أمام عناوين لافتة تتراوح بين الترحيب الحذر والمطالبة بالتريث والانتظار، وهي مواقف لافتة كان يُفترض بالصحف أن تتناولها بالتحليل والقراءة، وعدم نقل النصوص فقط، خاصة أن تلك المواقف المتشابكة تحكمها سياسة كل دولة أوروبية على حدة، وسياسات وتوجهات الإطار السياسي الذي يجمعها وهو الاتحاد الأوروبي وهي من الأمور التي تحتاج إلى كثير من التوضيح للقارئ الذي كان معنياً بمعرفة مواقف تلك الأطراف.

وإذا كانت تلك الصحف رصدت المواقف الأولية للبلدان الأوروبية عن اتفاق مكة وحكومة الوحدة، فقد تابعت لاحقاً رصد تلك المواقف التي انتقلت من الترحيب الحذر إلى محاولة

فرض بعض الاشتراطات من قبل دول في المجموعة الأوروبية وتمايز مواقف دول أخرى سواء في الاتحاد الأوروبي أو اللجنة الرباعية.

فصحيفة "الأيام" وفي عددها ليوم 25-2-2007 وعلى صفحتها الأولى نقلت عن خافيير سولانا المفوض العام للسياسات الخارجية في الاتحاد الأوروبي ما نصه:
"**سولانا: الاتحاد الأوربي لن يلتقي وزراء "حماس" في حكومة الوحدة**".

وفي عنوان آخر في أُذن الصحيفة، نُقِل عن وزير الخارجية الفرنسي دوست بلازي قوله:
"**بلازي: مستعدون للتعاون مع حكومة وحدة فلسطينية بناء على اتفاق مكة**"

بينما كتبت "القدس" في عددها ليوم 28-2-2007 على الصفحة الأولى وعلى 8 أعمدة العنوان التالي:
"**لافروف: مشعل تعهد بوقف العنف ضد إسرائيل وأبلغناه تأييد روسيا لاتفاق مكة ورفع الحصار عن الفلسطينيين**".

أما "الحياة الجديدة" على صفحتها الأولى فكتبت العنوان التالي:
"**شكك في استئناف المساعدات المباشرة للسلطة على المدى القريب (عنوان فرعي)**
الاتحاد الأوروبي: تقييم حكومة الوحدة سيكون من خلال الأفعال".

إذن نحن أمام غموض وضبابية في المواقف الأوروبية، وأمام تقدم ثم تراجع، لم تُشِر إليه الصحف الثلاث واكتفت فقط بنقل تلك المواقف، رغم أن عناوينها كان يُفهم منها هذا الغموض وهذا التقدم والتراجع.

صحيفة "القدس" كتبت في عنوان لها يوم 5-3-2007 على صفحتها الأولى ما يلي:
"**تأجيل مسألة اعتراف الحكومة بإسرائيل إلى موعد لاحق (عنوان فرعي)**
دول الاتحاد الأوروبي قد تعترف بحكومة الوحدة الفلسطينية"

وفي صحيفة "الأيام" في 10-3-2007 عنواناً آخر عن ذات الموضوع:
"**أوروبا مستعدة للعمل مع حكومة فلسطينية شرعية يعكس برنامجها مباديء الرباعية**"

وعنوان آخر في ذات الصحيفة:
"**باريس: سنتعاون مع فياض وأبو عمرو ولن نتعامل مع وزراء "حماس"**".

بينما عالجت "الحياة الجديدة" في عددها ليوم 12-3-2007 الموضوع من زاوية أخرى فكتبت العنوان التالي على صفحتها الأولى:
"**ضربة كبيرة للدبلوماسية الإسرائيلية: (عنوان فرعي)**
أوروبا تتنازل عن شرط اعتراف حكومة الوحدة بإسرائيل".

إذن فالصحف الثلاث رصدت مواقف الأطراف الأوروبية كما سجلتها التقارير الإعلامية، واهتمت بتلك المواقف من خلال ما اختارته لها من عناوين، بعضها كان في حدود المنطق والمعقول والبعض الآخر كان صارخاً إلى حدٍ ما. فهل كان تنازل أوروبا عن شرط اعتراف حكومة الوحدة ضربة كبيرة للدبلوماسية الإسرائيلية كما نشرت "الحياة الجديدة" وإذا كان ذلك صحيحاً. فكيف ولماذا لم تُشبِع هذه الصحيفة هذه القضية تحليلاً ومتابعة، وربطاً بتطورات سياسية ودولية وإقليمية ربما فرضت مثل هذا التغيير في المواقف.

لكن الاهتمام بهذه المواقف وبالإمكانيات المتوافرة لصحفنا الثلاث، مفيد للمواطن الذي كان يتابع باهتمام تداعيات اتفاق مكة وتشكيل حكومة الوحدة الوطنية، خاصة تداعياتها على حياته اليومية.

هذا التناول للمواقف الأوروبية بدا واضحاً في عنوان لصحيفة "الحياة الجديدة" بعددها الصادر يوم 19-3-2007 حيث كتبت ما نصه:
"**هنية استقبل وزير خارجية النرويج:**

جدار الحصار يتآكل: الأمريكيون والأوروبيون يتفقون على انتظار قرارات الحكومة"

في حين اهتمت "القدس" في عددها ليوم 18-3-2007 على الصفحة الثانية بإبراز الموقف النرويجي من حكومة الوحدة الوطنية، وكتبت العنوان التالي:

"**أوسلو تعترف بالحكومة الجديدة وتتعاون مع ائتلاف "حماس" "فتح""**

وكان هذا الاعتراف النرويجي تطوراً هاماً على صعيد الاعتراف الدولي بالحكومة الجديدة والتعاون معها، وخلافاً للمواقف الأمريكية والأوروبية من التعامل مع نصف الحكومة أي مع وزراء "فتح" في تلك الحكومة، واستمرار المقاطعة "لحماس" ووزرائها. لكن ما يُثير الانتباه هو أن الصحف الثلاث لم تشر بالتحليل والتعليق للموقف النرويجي، وكان يفترض بها أن تشبع هذا الموقف قراءة ومراجعة.

"تلفزيون فلسطين":

لم يطرأ تغيير يُذكر على طريقة تغطية "تلفزيون فلسطين" للأحداث والتطورات اليومية بتداعياتها الداخلية والسياسية والأمنية التي شهدتها الأراضي الفلسطينية وتحديداً قطاع غزة في الفترة التي شملتها عملية الرصد لتلك الأحداث.

فقد واصل نهجه القديم الذي كنا أشرنا إليه في تقريرنا السابق حول "حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية وآفاق السلام" من حيث بثه لصور الضحايا الملطخة بالدم مع اختلاف بسيط هو أن الضحايا هذه المرة لم يسقطوا بالرصاص الإسرائيلي، بل برصاص المتقاتلين من "فتح" و"حماس".

واستمر التلفزيون في تعامله مع الضحايا كأرقام أيضاً، وكانت دوماً أخبار الرئيس تحتل الصدارة في نشرات الأخبار، وحظيت احتفالات حركة "فتح" في ذكرى انطلاقتها في الفاتح من كانون ثاني بمساحة واسعة من التغطية سواء في نقل الاحتفالات بهذه المناسبة، أو ببث الأغاني التي تُشيد بالانطلاقة، وكذلك بالبرامج التي خُصصت لهذه المناسبة.

الاقتتال الداخلي:

مع اشتداد وطأة الاقتتال الداخلي كرس "التلفزيون الفلسطيني" إمكاناته لنقل تغطية مباشرة لأحداث هذا الاقتتال وتطوراته ونتائجه، فتراجعت أخبار الرئيس ونشاطاته إلى المرتبة الثانية من الاهتمام، سواء بالنقل المباشر والرسائل الصوتية أو المرئية عبر مراسل التلفزيون في غزة، أو من خلال بث الصور الحية للضحايا من قتلى وجرحى، كما أكثر التلفزيون من الأخبار العاجلة التي كانت تفيد بسقوط قتيل أو جريح، في حين كان التسرع في بث الأخبار العاجلة سبباً في الإرباك، ومسبباً أيضاً لمزيد من الاقتتال وردات الفعل.

كان واضحاً في لغة التحرير والمصطلحات التي استخدمت في صياغة التقارير والأخبار الانحياز لطرف دون آخر في هذا الصراع، وكان بث الأخبار مقروناً بعرض لمشاهد من اقتتال أو صور لضحايا سقطوا وأُصيبوا بالرغم من قسوة المشاهد وبشاعتها.

وبات "الشهيد" مصطلح يطلق على قتلى هذا الاقتتال، إضافة إلى أن بعض حوادث القتل التي كان يذهب ضحيتها أفراد أمن من الوقائي، كان يستخدم بدلاً منها مصطلح "إعدام".

أمثلة ونماذج:

في نشرة الأخبار المحلية التي بثت يوم 14-1-2007 الساعة السابعة مساء ورد الخبر التالي:

"**استشهاد" مواطنين وإصابة اثنين جراء تواصل إطلاق النار بين "فتح" و"حماس".**

وفي ذات النشرة خبر آخر مفاده:

"**إعدام" 3 عناصر من "الأمن الوقائي برصاص القوة التنفيذية"**

في حين توالت الأخبار العاجلة في ذلك اليوم الذي شهد اقتتالاً عنيفاً بين عناصر "فتح" و"حماس".

ففي خبر بثه التلفزيون الساعة 7:50 ورد ما يلي:
"استشهاد" العقيد محمد غريب بعد استهدافه بقذيفة "آر.بي.جي" من قبل "القوة التنفيذية" التي كانت تحاصره.

بعدها بدأ التلفزيون يبث آخر كلمات "الشهيد" محمد غريب على الهواء، والذي كان أدلى بها في وقت سابق من مقتله. وكرر التلفزيون بث هذه الكلمات أكثر من مرة.

الطريف أن "تلفزيون فلسطين" في نشرة الساعة التاسعة من نفس الليلة، عاد ليبث الخبر العاجل التالي:
"تضارب الأنباء حول "استشهاد" العقيد محمد غريب في حين "استشهدت" ابنتاه، وأُصيبت زوجته بجروح خطيرة".

هنا تكمن أهمية التريث في نشر الأخبار وضرورة التثبت من صحتها. وهنا أيضاً يكمن الحرص على أن لا يُثير النشر المتعجل والمتسرع لأخبار كهذه مزيداً من مشاعر الانتقام والثأر ومزيداً من أعمال القتل. محمد غريب لم يكن مواطناً عادياً. كان مسؤول أمن رفيع المستوى، ومقتله أثار موجة عارمة من ردود الفعل، وكانت الفترة ما بين بث الخبر في المرة الأولى، ثم التراجع والحديث عن تضارب الأنباء بشأن مقتله فترة هامة وخطيرة، كان يمكن أن تتسبب في سقوط ضحايا جدد.

في جانب آخر من هذا النوع من التغطية بدا التحيز لطرف دون آخر، وعرض وجهة نظره واستبعاد وجهة نظر الطرف الآخر كان التحيز واضحا لصالح "فتح" والأجهزة الأمنية. كما في الخبر التالي الذي بث على التلفزيون الساعة التاسعة من يوم 4-1-2007.

"كتلة "فتح" البرلمانية تحمل المسؤولية "لحماس" عن مسلسل الفلتان الذي ذهب فيه ثلاثة من الأمن الوقائي".

لماذا لم يورد التلفزيون وجهة نظر "حماس"، وقراءتها لما كان يجري؟ ولماذا استبعدت روايتها؟!

في تلك الفترة تراجعت تغطية "تلفزيون فلسطين" للإجراءات والانتهاكات الإسرائيلية، وتركز الاهتمام على الاقتتال ليس في نشرات الأخبار، بل وفي البرامج واللقاءات السياسية التي كان التلفزيون يبثها ويخصص لها مساحة واسعة من التغطية.

وقد لُوحِظ أن البرامج واللقاءات أُستثني منها الطرف الآخر في الصراع. لم نجد تفسيراً لهذا الاستبعاد، وإن كان البعض برر ذلك برفض مسؤولي "حماس" التعاون مع العاملين وفي البرامج الإخبارية بالتلفزيون الفلسطيني.

مثال: في برنامج "**لقاء خاص**" من تقديم رأفت القدرة، عرض "تلفزيون فلسطين" لقاء حول "الأحداث المؤسفة بين "فتح" و"حماس" وتداعياتها على الوضع الفلسطيني وحكومة الوحدة الوطنية".

شارك في اللقاء: كمال الشرافي مستشار الرئيس لشؤون حقوق الإنسان –عضو لجنة المتابعة للقوى الوطنية والإسلامية في غزة، ورباح مهنا، عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية وعضو لجنة المتابعة، وعبد الحكيم عوض الناطق باسم "فتح" –عضو لجنة المتابعة أيضاً، في حين لم يضم اللقاء ممثلاً عن "حماس" وهي الطرف الآخر من المعادلة، فلماذا هذا الاستبعاد وهذا الاستثناء؟!

أيضاً في ذات الليلة، وفي برنامج بعنوان "**الموقف السياسي**" بثه "تلفزيون فلسطين" الساعة 9:42 دقيقة يتطرق البرنامج إلى الوضع الأمني المتدهور في غزة والبحث في التجاوزات الأمنية للقوة التنفيذية، ويخلص "**الموقف السياسي**" إلى ما يلي:

- هذه القوة لم تأخذ الشرعية.
- أسلحتها وُجهت إلى صدور الفلسطينيين، وإلى تنفيذ عمليات التصفية والاغتيال.
- يتم توجيهها من قبل وزير الداخلية سعيد صيام، وتوصف ب"العصا الغليظة" التي تحاول "حماس" أن تحكم بها.

ثم يعود التلفزيون في يوم 18-1-2007، ليعرض بعد نشرة أخبار الساعة السابعة برنامجاً خاصاً عن القوة التنفيذية بعنوان: "**القوة التنفيذية: الصراع والاقتتال**" يتضمن ردود فعل على قرار الرئيس عباس في وقت سابق بضم هذه القوة للأجهزة الأمنية.

كانت نشرات الأخبار في تلك الفترة تظهر تحيزاً وتعبئة ضد الطرف الآخر وهو "حماس" وإظهارها كطرف يتحمل المسؤولية عن كل ما يجري:

ففي نشرته المحلية التي بثت الساعة السابعة من يوم 9-1-2007 ورد الخبر التالي في مستهل النشرة:
"**أكدت حركة "فتح" أن الرفض الشامل لمفهوم الوحدة الوطنية الذي تؤمن به "حماس" على طريقتها هو الذي أفشل تشكيل حكومة الوحدة**".

في تلك الأثناء كان "تلفزيون فلسطين" يُكثر من بث الأغاني التي تُشيد بحركة "فتح"، وتمجد الرئيس محمود عباس، وتخصص مساحة أكبر من البرامج عن انطلاقة "فتح"، ولعل أكثر الأغنيات التي بثها التلفزيون في تلك الفترة "يا حبيب الشعب" كتبت خصيصاً للرئيس عباس، ثم أغنية "على دربك يا أبو عمار".

وغاب عن تغطية "تلفزيون فلسطين" أنشطة الحكومة العاشرة التي شكلها حركة "حماس"، بقيادة هنية مقابل إعطاء مساحة واسعة لمسؤولي "فتح" والناطقين باسمها، واهتمت نشراته الإخبارية أيضاً في تلك الفترة ببث نتائج استطلاعات رأي كانت تتحدث عن تفوق حركة "فتح" وتقدمها على حركة "حماس".

وأبرزت نشرات الأخبار في "تلفزيون فلسطين" في فترة الاقتتال بين "فتح" و"حماس" بعض أحداث الفلتان ذات الصلة بالاعتداء على مؤسسات إعلامية محلية وعربية، كما حدث في الاعتداء على مكتب قناة العربية. ففي النشرة المحلية ليوم 23-1-2007 الساعة السابعة مساء ورد الخبر التالي:

"**عقدت نقابة الصحافيين الفلسطينيين مساء اليوم في مقر النقابة بغزة اجتماعاً طارئاً لمتابعة آخر التطورات الحاصلة في ضوء الاعتداء على مكتب قناة العربية في مدينة غزة من قبل فئة مارقة مجرمة...**"ألخ.

كانت الإشارة واضحة باتهام "حماس" وعناصرها، دون أن يرد ذكر لتحقيقات الأمن بهذا الشأن، وما توصلت إليه تلك التحقيقات.

وكان هذا الاعتداء مادة دسمة للاتهامات المتبادلة، حتى أن "تلفزيون فلسطين" بث في نفس الليلة برنامجاً بعنوان "**الموقف السياسي**"، وكان موضوع الحلقة "الاعتداء على قناة العربية" شارك فيه صالح رأفت عضو تنفيذية م.ت.ف، وعلى الهاتف نبيل عمرو المستشار السياسي للرئيس أبو مازن، بينما لم يستضف البرنامج أياً من مسؤولي الحكومة التي كانت تقودها "حماس".

وفي اللقاء يقاطع مقدم البرنامج أحد ضيوفه محاولا توجيهه إلى اتهام طرف بعينه حين يقول:
"**بالتالي هناك تيار لا يريد للحقيقة أن تصل بوضوح**".
هذا التعليق من قبل المذيع أو مقدم البرنامج تدخل لا مبرر له في الحوار، ومحاولة لحرف ردود من يتحاور معه باتجاه طرف بعينيه، وتوجيه الاتهام له، المقصود هنا "حماس".

أيضاً كانت صور الضحايا من أطفال عائلة بعلوشة مادة للاستخدام اليومي على شاشة "تلفزيون فلسطين"، بل أن صور هؤلاء الأطفال القاسية عُرضت كخلفية لأغانٍ وطنية، وفي الخلفية منها تُسمع أصوات نساء إلى جانب والدة الأطفال وهن يعزينها ويطالبن بالقصاص من القتلة.

هذا الاستخدام لصور الضحايا وخصوصاً الأطفال وبالطريقة التي تم عرضها، ربما تجاوزت كثيراً حدود المس بالمشاعر، وحولت الحزن والغضب على مقتلهم إلى مشاعر ثأر وانتقام في فترة من الاقتتال كانت تنذر بسقوط مزيد من الضحايا.

لقد كان "تلفزيون فلسطين" في تلك المرحلة من الاقتتال مصدراً مهماً للأخبار والتقارير، وكان يحظى بمتابعة واسعة على الأقل في قطاع غزة ساحة الاقتتال الرئيسية بتفاصيلها المؤلمة والقاسية، ولم يغير من نهج تغطيته الميدانية، على أهمية وخطورة الدور الذي كان يمكن أن يقوم به. فضراوة الاقتتال وعنفه ودمويته وسقوط الضحايا من المدنيين يستوجب تعاملاً خاصاً إزاء هؤلاء الضحايا وذويهم، وبث الصور الملطخة بالدماء، وتكرار عرضها يؤذي المشاعر ويمسها على نحو خطير، وهو أيضاً يثير مشاعر متجددة من الغضب الذي غالباً ما يتحول إلى رغبة في الانتقام.

يوميات الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي:

بعد أن خفت حدة الاقتتال الداخلي عاد "تلفزيون فلسطين" ليعطي مساحة في تغطيته للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، خاصة الاجتياحات الإسرائيلية للمدن والقرى والبلدات والمخيمات، وحملات الاغتيال والاعتقال التي نفذها هناك.

وعادت إلى شاشته بعض البرامج الاجتماعية والتثقيفية مثل برنامج "**افتح لي قلبك**" وهو برنامج يعالج قضايا اجتماعية واقتصادية متنوعة.

ومع اهتمام "تلفزيون فلسطين" آنذاك بالحفريات الإسرائيلية في منطقة تلة المغاربة الملاصقة للمسجد الأقصى، كانت هناك برامج وندوات توجه النقد الشديد إلى الحكومة، وهو ما لم يكن مألوفا اتجاه حكومات سابقة لم تكن "حماس" مشاركة فيها.

أيضا برز مع التصعيد الإسرائيلي وتزامن معه بدء حوارات اتفاق مكة، ومن ثم تشكيل حكومة الوحدة الوطنية، لهذا تقلص الاهتمام بأحداث الاقتتال وهو الشيء ذاته فعلته الصحف الفلسطينية.

وفي يوميات الصراع مع إسرائيل، لم يغير التلفزيون من طريقة تناوله لهذا الصراع سواء بالخبر أو بالصورة أو التقرير، فظلت المشاهد القاسية الدامية سمة تميز ما يبثه التلفزيون.

وقد كان لافتا تقرير عرضه التلفزيون يوم 3-1-2007 الساعة (10:47 دقيقة) حول مدينة رفح بعنوان: "**تأثير الاحتلال والحصار على مدينة رفح وكيف حولها إلى أشباح**".

التقرير عرض مشاهد لدمار اقتصادي بشري اجتماعي، وكذلك مشاهد من عمليات قصف وتدمير منازل ومحلات تجارية وأيضاً صور مسلحين فلسطينيين.

لكن أبرز مشهد عرضه التقرير صور أطفال يلعبون بأسلحة بلاستيكية وعلى خلفية صور الأطفال هؤلاء نص يقول:

"**الأطفال تنتظر دورها كي تمسك بالأسلحة الحقيقية**".

لا ندري أي رسالة أراد التقرير إيصالها، على الرغم من أهمية ما عرضه من حجم الدمار الذي خلفه الجيش الإسرائيلي في حياة المتضررين ممن فقدوا بيوتهم ومساكنهم، لكن هل كان ضرورياً ومفيداً أن يتحدث النص آنف الذكر عن الأطفال الذين ينتظرون دورهم كي يمسكوا ببنادق حقيقية".
قد يوحي مضمون النص دعوة إلى التحريض ولماذا يحلم طفل ببندقية وتُستبعد أحلامه الأخرى؟!! وقد يفيد ما تدعيه إسرائيل من أن الفلسطينيين يربون أطفالهم ليصبحوا مقاتلين ليس إلا.

هذا لا يعني أن التلفزيون لم يعرض برامج أخرى ذات طابع توعوي وتثقيفي، ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن مثل هذه البرامج هو ما يفتقده "تلفزيون فلسطين"، عدا برامج أخرى تعطي اهتماماً أكبر للطفل والمرأة، ولفئات وشرائح كثيرة، تحاول أن تمارس حياتها الإنسانية رغم واقعها الصعب والمرير.

يسجل "لتلفزيون فلسطين" في مرحلة ما تغطيته الواسعة لما كان يحدث في القدس من حفريات في المسجد الأقصى هذه التغطية تراوحت بين رصد ما يجري، ونقل ردود الفعل عليها وأيضاً تخصيص عدد من البرامج والندوات عن مدينة القدس وأهميتها، والاستعانة أيضاً بالأغنيات والأناشيد الوطنية مثل: "الأقصى نادى" و"يا قدس" و"بلدي سجين" و"شدي يا أرضي العزة".

بدا الإكثار من هذه الأغنيات والأناشيد توظيفاً للحدث المعاش، بعد أن كان تمجيداً بالرئيس "يا حبيب الشعب" وإشادة بحركة "فتح".

وبعض البرامج الدينية مثل "دين وأخلاق" على أهميتها، كان لابد من التوقف عند لغة خطابها الذي قد يُفهم بأنه تحريض ودعوة إلى "الجهاد" الذي هو بالمفهوم الحالي قد يُرادف استهداف حياة المدنيين.
خاصة الحلقة التي عرضها التلفزيون يوم 10-2-2007 الساعة 7:20 دقيقة.

فالمتحدث في هذه الحلقة يقول: "**يجب أن لا نقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه بنو إسرائيل فالله أعطاهم القدس ولم يهتموا بها**".

ويضيف: "**التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله. وهذه التهلكة الفلسطينية اليوم عندما تركنا ما أمرنا الله به**".
أيضاً خصص التلفزيون في تلك الفترة مساحة من تغطيته المفتوحة لردود الفعل حول الحفريات الإسرائيلية من خلال عرض صور ومقتطفات لتلك الحفريات وخطورتها مثل برنامج "**الكلام مسموح**" وبرنامج آخر بعنوان "**صرخة الأقصى**" و "**يوم القدس**".

اتفاق مكة وحكومة الوحدة الوطنية:

واكب "تلفزيون فلسطين" كما هو الحال في الاقتتال الداخلي ويوميات الصراع مع الإسرائيليين المشاورات التي سبقت اتفاق مكة والحوارات التي جرت لاحقاً، إلى أن تشكلت حكومة الوحدة الوطنية.

وهنا تبدلت اللغة والمصطلحات في تناول نشرات أخبار "تلفزيون فلسطين" لهذه التطورات، وأيضاً ركزت البرامج واللقاءات المفتوحة والندوات التي كان يعرضها التلفزيون على لغة من الخطاب أكثر هدوءاً وأقل إثارة، وقد يكون هذا طبيعياً ومتوقعاً في ظل انفراج العلاقة الداخلية.

ومع ذلك، وكما فعلت الصحف، ظل الربط قائماً في التغطية الإخبارية بين التصعيد الإسرائيلي الذي تزامن مع إعلان اتفاق مكة وتشكيل حكومة الوحدة، وركزت التقارير الفلسطينية على ردود الفعل التي اعتبرت هذا التصعيد محاولة إسرائيلية لإفشال المصالحة الفلسطينية الداخلية.

مع هذا الهدوء الداخلي، كانت هناك برامج موجهة في "تلفزيون فلسطين" منها السياسي، ومنها ما هو اجتماعي، وهذا كسر الرتابة في برامج التلفزيون التي كانت تقتصر في أغلب برامجها على الموضوع السياسي وتعطيه المساحة الأكبر حتى في شريط الأخبار الذي واكبت موضوعاته أحداث الفلتان، وكذلك مشاورات مكة واتفاقها ثم حكومة الوحدة.

فشهدنا برامج سياسية مثل، برنامج "**مسيرة ثورة**" الذي ركز على م.ت.ف ودورها التاريخي، وهو برنامج من سلسلة حلقات طويلة، لم يكن بثه عرضياً أو مصادفة، بل اختير في توقيت هامٍ كثر فيه الحديث عن تمثيل المنظمة ودخول "حماس" والجهاد إليها، بل كان هناك تشكيك في هذا التمثيل وسط دعوات منادية بتفعيل المنظمة وإعادة بنائها وصياغتها، في وقت أثار صعود "حماس" المفاجئ إلى السلطة وبهذا الزخم وتراجع فصائل م.ت.ف وقلق هذه الفصائل من هيمنة هذه الحركة الأصولية على النظام السياسي الفلسطيني وتأثيرها المتزايد على حياة الناس.

فكان هذا البرنامج توظيفاً أُريد منه التأكيد على أن م.ت.ف قائمة وموجودة، وهي تاريخ ممتد منذ سنوات طويلة من النضال لا يمكن تجاهله.

وشهد بث "تلفزيون فلسطين" تنوعاً في برامجه وانفتاحاً على الآخر الحمساوي من خلال استضافته لأول مرة رئيس الحكومة العاشرة إسماعيل هنية في برنامج "**خط أحمر**" عرض على شاشة "تلفزيون فلسطين" الساعة 7:37 دقيقة يوم 10-3-2007 ما مثل تحولاً في سياسة هذا التلفزيون، الذي اكتفى في السابق بتغطية النشاطات المناوئة لتلك الحكومة خاصة إضرابات العاملين في الوظيفة العمومية.

وبعد هذا اللقاء، ومع الانفراج الذي تجسد بتشكيل حكومة الوحدة، بدأ التلفزيون يبث أخبار ونشاطات رئيس الوزراء وحكومته، فاحتلت أخباره المرتبة الثانية بعد أخبار الرئيس.

وذهب "تلفزيون فلسطين" أبعد من ذلك حين استضاف في برنامج "خط أحمر" يوم 14-2-2007 الساعة 7:45 دقيقة خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس"، وهو انفتاح غير مألوف على شخصية مثل مشعل كانت مثار جدل وخلاف كبير في أوساط حركة "فتح" والرئاسة حيث كان ينظر إليه على أنه العائق أمام أي اتفاق داخلي بين "فتح" و"حماس".

هذا التوجه الجديد من قبل "تلفزيون فلسطين" مثل نقلة مهمة في التعاطي الموضوعي في تغطية الأحداث، لكنها لم تزل الصبغة الأساسية وإعطائه مساحة أوسع من التغطية لصالح حركة "فتح" ومؤسسة الرئاسة.

أما فيما يتعلق بالبرامج الحوارية خاصة السياسية المرتبطة بالأحداث الداخلية، فقد درج التلفزيون الفلسطيني في معظم برامجه على استضافة شخوص بعينهم، وقد تكررت استضافتهم أكثر من مرة، خاصة لشخصيات أمثال قيس أبو ليلي، وهاني المصري، ونبيل عمرو، وعزام الأحمد، خاصة برنامج "**ما وراء الحدث**".

اللافت في تغطيته لهذه الفترة أيضاً غياب رصد المواقف الأمريكية والإسرائيلية والأوروبية حيال اتفاق مكة وحكومة الوحدة، وبالكاد تم التطرق إليها في نشرات الأخبار والتقارير، وحتى في البرامج الحوارية السياسية لم نجد إلا مساحة صغيرة من الإشارة إلى هذه المواقف.

إذ بدا جلياً عدم الاهتمام بقراءة ما يجري في الجانب الآخر وردود فعله حيال اتفاق مكة وحكومة الوحدة.

ولم نجد في الشريط الإخباري "لتلفزيون فلسطين" في تلك الفترة إلا خبراً واحداً يوم 14-2-2007، تصريحاً لأولمرت يقول فيه: "**اتفاق الوحدة له تأثيرات كبيرة على مستقبل الشرق الوسط**".

ما قرأناه في وسائل الإعلام المكتوبة وما رصدناه من تصريحاته الكثيرة، لم نجده ولم نعثر عليه في نشرات أخبار "تلفزيون فلسطين" على مدى الساعات التي تم رصدها من البث:

أما فيما يتعلق بالموقف الإسرائيلي من حكومة الوحدة فقد وجدنا تصريحاً منسوباً للخارجية الإسرائيلية يوم 15-3-2007، وعلى الشريط الإخباري، بالإشارة إلى ما يلي: "**الخارجية الإسرائيلية تعلن أن إسرائيل لن تتعامل مع الحكومة الفلسطينية الجديدة**".

عدا ذلك لم نجد سوى ردود فعل فلسطينية على الموقف الإسرائيلي أبرزها ما ورد في نشرة الأخبار المحلية الساعة 7:00 مساءً ليوم 19-3-2007، حول اجتماع اللجنة التنفيذية للمنظمة عبرت فيه عن رفضها للموقف الإسرائيلي اتجاه حكومة الوحدة الجديدة ومطالبة المجتمع الدولي بفك الحصار السياسي والاقتصادي.

الإشارة التفصيلية الوحيدة للمواقف الإسرائيلية والأمريكية من اتفاق مكة وحكومة الوحدة كان في البرنامج الذي بثه التلفزيون الفلسطيني يوم 20-3- 2007 (الساعة 8:15 دقيقة) ركز فيه

ضيف الحلقة نبيل عمرو على شرح المواقف الأمريكية والإسرائيلية والأوروبية وكيفية مخاطبة العالم من قبل الحكومة الجديدة.

عدا ذلك لم يعرض التلفزيون القراءة الإسرائيلية للموقف الرسمي في إسرائيل من التطورات الداخلية الفلسطينية، وهو أمر يثير الدهشة والاستغراب.

أخيراً أضاف "تلفزيون فلسطين" إلى أرشيف أغانيه التي تُمجد الرئيس وتُشيد بحركة "فتح"، والوحدة الوطنية وتلك التي تغني للقدس والأقصى، أغنية تُشيد بالمملكة العربية السعودية لدورها في إنجاز اتفاق مكة.
هذه الأغنية التي حملت عنوان: "يا سعودية" أُضيفت إلى أغنية أخرى "من فلسطين ألف تحية" و "علّلي الكوفية" و"وحدتنا فلسطينية" وكان يُعاد بث هذه الأغنيات مرتين أو ثلاث مرات في فترة زمنية وجيزة من ساعات البث.

وبدا من خلال بث هذه الأغنيات أننا أمام توظيف جديد للأغنية الوطنية لصالح الحدث السياسي، وهذا البث المتكرر لتلك الأغاني أُضيف إلى المشاهد المألوفة التي يعرضها التلفزيون دوماً سواء لما تعلق بالصراع مع إسرائيل أو الاقتتال الداخلي، وكذلك اتفاق مكة وحكومة الوحدة الوطنية.

النتائج:

- ✓ بالرغم من أن الصحف الثلاث أعطت اهتماماً كبيراً في تغطيتها لأحداث الفلتان الأمني، والمشاورات التي سبقت اتفاق مكة وما بعد ذلك خاصة حكومة الوحدة الوطنية التي تشكلت بموجب هذا الاتفاق.
  واحتلت التغطية لتلك الموضوعات مساحة واسعة في عناوين الصحف الرئيسة، وفي صفحاتها الداخلية، معتمدة في ذلك إما على تقارير مراسليها الميدانيين، أو عن طريق وكالات الأنباء المحلية أو الأجنبية، إلا أنها اقتصرت في التغطية على النقل المجرد لتلك الأحداث دون الغوص في تداعياتها وآثارها.

- ✓ اعتمدت الصحف الثلاث بالإجمال سياسة تحريرية بدا منها الانحياز لطرف دون آخر، ما قلل من مهنية هذه الصحف خاصة حين يتعلق الأمر بأحداث ميدانية كانت رواية طرف تطغى على رواية الطرف الآخر ما فُهم منه تبني رواية ما على حساب رواية مضادة.

- ✓ تعاملت الصحف الثلاث مع ضحايا الفلتان الأمني كأرقام، فكانت تبرز باستمرار أعداد الضحايا الذين يسقطون يومياً سواء بالفلتان الأمني والاقتتال الداخلي أو بالصراع والمواجهة مع إسرائيل. مع اعتماد سياسة تحريرية معينة إزاء هوية فئة من ضحايا الفلتان التنظيمية والسياسية، وعدم الإشارة إلى هوية فئة أخرى والتركيز تحديداً على الضحايا من أجهزة الأمن ومن عناصر حركة "فتح". في حين تبنت الصحف سياسة مغايرة إزاء ضحايا الصراع الفلسطيني– الإسرائيلي، فإذا كانوا من المقاومين كانت تشير إلى هويتهم التنظيمية سواء كانوا من "فتح" أو من "حماس".

- ✓ غابت عن تغطية تلك الصحف التقارير المتخصصة في القضايا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المحلية، وأيضاً التقارير ذات الطابع الإنساني ذات الصلة سواء بالاقتتال الداخلي، أو الصراع الفلسطيني– الإسرائيلي. واهتممت الصحف بدلاً من ذلك بالتغطية المجردة للأحداث السياسية. هذا لا يعني أن الصحف خلت من بعض التقارير ذات الصلة بهذه القضايا، لكنها كانت قليلة بحيث لم تتجاوز عدد أصابع اليدين.

- ✓ تحولت الصحف الثلاث في الفترة التي بلغ فيها الاقتتال الداخلي ذروته إلى ما يشبه ساحة حرب إعلامية وكلامية بين السياسيين والإعلاميين من كلا الطرفين المتقاتلين، مع الإشارة إلى أن المساحة التي أعطيت لمتحدثي "فتح" وناطقيها الرسميين والسياسيين، ضعف المساحة المعطاة لنظرائهم من "حماس". وكان اهتمام خاص بإبراز مواقف مؤسسة الرئاسة وأنشطتها، هو اهتمام تشاركت فيه الصحف الثلاث، ولم يكن وليد أحداث الأشهر الثلاث فقط، بل هو سياسة قائمة منذ سنوات.

- ✓ حظي الكاريكاتير بمكانة خاصة في الصحف الثلاث، واستطاعت رسوماته أن ترصد مرحلة مهمة وخطيرة، عبرت عنها بصورة أشمل وأكثر موضوعية وصدقاً من الأخبار

والتقارير التي تنشرها تلك الصحف، ويمكن القول أن أداء الصحف في هذا المجال كان أفضل بكثير، وعكس في حينه نبض الشارع وحقيقة ما يجري.

- ✓ أصبحت وسائل الإعلام الإلكترونية خاصة المواقع الإخبارية على الانترنت مصادر معلومات أساسية للأخبار والتقارير التي نشرت في تلك الصحف آنذاك، لتضاف إلى وسائل إعلام أجنبية، استمدت منها الصحف مواضيعها وتقاريرها، في حين تراجع دور الصحافي المحلي في المواكبة الميدانية للأحداث والتطورات، وقد يكون مرد هذا التراجع: غياب الحافز المادي الذي تعطيه الصحيفة لمراسليها ومندوبيها، أو لسهولة الحصول على المعلومات من المواقع الإلكترونية وحتى من القنوات الفضائية التي تبث مباشرة، وكان ذلك على حساب دور الصحافي وأدائه وحتى موضوعيته، إضافة إلى الأوضاع الأمنية والسياسية التي سادت في حينه، وشكلت خطراً على العمل الصحافي.

- ✓ ساهمت الصحف الثلاث بصورة غير مباشرة في تأجيج المشاعر، وفي خلق حالة من الاحتقان الداخلي جراء أحداث الفلتان التي سادت قطاع غزة، بالنظر إلى حجم مساحة التغطية وعناوينها، وحتى لغة الخطاب الذي تضمنته تقاريرها، في حين انفرد الكاريكاتير بميزة التخفيف من لهجة الخطاب الحادة التي كانت تنقلها الصحف عن مسؤولين في الطرفين المتقاتلين.

- ✓ يسجل للصحف الثلاث رصدها الواسع والشامل لتداعيات اتفاق مكة وحكومة الوحدة الوطنية، ورصدها بصورة تفصيلية للمواقف الإسرائيلية والأمريكية والأوروبية حيال هذه التطورات السياسية.

- ✓ احتلت الأحداث الدامية في قطاع غزة المساحة الأكبر من التغطية الميدانية والبرامجية في "تلفزيون فلسطين" حيث انفرد بمتابعة تلك الأحداث أولاً بأول عبر شبكة مراسليه في القطاع.

- ✓ الإكثار من الأخبار العاجلة كان سمة مميزة لبث "تلفزيون فلسطين" في تغطيته لأحداث تلك الفترة، لكن هذا الإكثار كان مغرقاً في عدم الدقة وفي انعدام الموضوعية، وتميز

بخطاب إعلامي فيه كثير من الإثارة ورفع درجات التوتر لدى المشاهد، خاصة مع عرض صور الضحايا، ونقل مشاهد الاقتتال، وإطلاق الرصاص، واستهداف الأفراد والمؤسسات.

- ✓ عادت المشاهد القاسية لصور الضحايا تحتل مساحة مهمة في فترات بث "تلفزيون فلسطين"، خاصة صور أطفال عائلة بعلوشة، وتوظيف هذه الصور في إثارة المشاعر، والتسبب بمزيد من الاحتقان والاقتتال.

- ✓ أما فيما يتعلق ببرامج "تلفزيون فلسطين"، فهي في الغالب برامج سياسية تأخذ شكل "اللقاء المفتوح" محكومة بالحدث المعاش، لذا وجدنا كثيراً من هذه البرامج يرتبط بأحداث الفلتان، ثم تنتقل تلك البرامج للحديث عن اتفاق مكة، وحكومة الوحدة، وهذا أمر جيد لو أن تلك البرامج لم تقتصر على شخوص بعينهم، ولو أن حواراتها اهتمت بالتفاصيل ولم تشهد تدخلاً من مقدم البرنامج أو المحاور الذي كان يتبنى سياسة توحي بالانحياز.

- ✓ غاب عن "تلفزيون فلسطين" متابعة ورصد المواقف الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية على وجه التحديد من التداعيات الميدانية والسياسية التي شهدها قطاع غزة سواء فيما يتعلق بالفلتان أو باتفاق مكة وحكومة الوحدة.

- ✓ لم نجد في تغطية "تلفزيون فلسطين" أو في برامجه وفي نشراته الإخبارية ما يُشير إلى هذه المواقف، وهذا خلل كبير لم نجد له تفسيراً.

- ✓ افتقار بث "تلفزيون فلسطين" للتقارير ذات الطابع الإنساني التي تتعرض لمعاناة المواطنين اجتماعياً واقتصادياً، وإن كنا وجدنا برامج على درجة من الأهمية عرضت على شاشة التلفزيون مثل "أقدام عالية" وبرامج أخرى ذات طابع توعوي وثقافي، إضافة إلى برامج دينية، مع تأكيد ملاحظتنا السابقة بأن البرامج المعروضة على شاشة "تلفزيون فلسطين" محكومة بالحدث ذاته.

- ✓ بعض المشاهد والتقارير وحتى البرامج التي تُعرض على شاشة "تلفزيون فلسطين" تتضمن إيحاءات قد يفهم منها التحريض أو الدعوة إلى استهداف المدنيين.

التوصيات:

- ✓ ضرورة تطوير الأداء المهني للعاملين في وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية (الصحف الثلاث و"تلفزيون فلسطين")، بما يرفع من كفاءة هؤلاء العاملين.

- ✓ حث رؤساء ومدراء التحرير وواضعي السياسات في الصحف الثلاث و"تلفزيون فلسطين" على تبني الموضوعية في التغطية الإخبارية، وفي اختيار العناوين دون إثارة أو تحريض، مع إعطاء مساحة واسعة للرأي الآخر، والتوازن في عرض الروايات.

- ✓ دعوة الصحف إلى إعطاء مساحة أوسع لرسومات الكاريكاتير، بعد أن تبين أن الكاريكاتير يعكس واقع الناس ونبض الشارع، ولا يترك مجالاً لمحرر أو رئيس تحرير فرض رقابته عليه، أو استخدام مقصه للحيلولة دون نشره.

- ✓ من الضروري بمكان أن يتوقف "تلفزيون فلسطين" عن بث مشاهد الصور القاسية والبشعة للضحايا سواء من سقطوا بسبب الصراع الداخلي، أو نتيجة الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، والكف أيضاً عن توظيف صور الضحايا خاصة من الأطفال لأهداف سياسية، ووضعها خلفيات لنشيدٍ أو أغنية.

- ✓ من الأهمية بمكان تخصيص مساحات أوسع للتقارير ذات الطابع الإنساني والاجتماعي سواء في "تلفزيون فلسطين" من حيث استحداث برامج جديدة ونوعية، أو عبر تخصيص صفحات في الصحف تعالج قضايا المواطنين ومشكلاتهم، وتعزز ثقافة التصالح والسلم الأهلي.

- ✓ التوقف عن التعامل مع الضحايا كأرقام مجردين من إنسانيتهم، فكل ضحية عالم قائم بحد ذاته.

- ✓ توفير الحوافز المادية، والأمن الوظيفي للعاملين في وسائل الإعلام، بما يساهم في تحفيز طاقاتهم وتقديم أفضل ما لديهم، وتوفير آليات حماية قانونية للإعلاميين.